مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 09/ العدد: 01 / جانفي (2023) - ص 236-248

مدخل إلى تذوق الأدب العربي

Introduction to Arabic Literature Appreciation

زكرياء مخلوفي
Makhloufi-zakaria@univ-eltarf.dz
جامعة الشاذلي بن جديد الطارف/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/10/31 تاريخ القبول: 2022/09/01 تاريخ النشر: 2023/01/10

ملخص البحث

إن المتأمل في واقع العملية التعليمية اليوم في ضوء الانفجار المعرفي والتطور التكنولوجي الذي يشهده العصر، يصطدم بإشكالات عويصة وتساؤلات حقيقة لا مرد من الإجابة عليها: ما قيمة تعليم الأدب اليوم في المدرسة؟ ماهو الدور المنوط للأدب في الوقت المعاصر الذي يشهد سيطرة واضحة للوسائط الإلكترونية مقابل تراجع واضح للكتاب الورقي؟ وما الغاية من تعليم لغته العاجيّة لجيل رقمي من المتعلّمين؟ هذه الإشكالات وأخرى تؤرق المشتغلين بحقل تعليمية الأدب العربي، نحاول إماطة اللثام عليها في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: التعليمية، الأدب، التذوق الأدبي، الجيل الرقمي.

ABSTRACT:

Reflecting on teaching Arabic in the light of the cognitive and technological developments, this educational process is confronting problematic issues that are; first, what is being important of teaching literature in school? Then, what is the assigned role of literature in this contemporary era dominated by ICTs in exchange for a clear decline of paper books? Third, what is the aim of teaching its ancient language to a digital generation of learners? These issues are a big concern to the Arabic literature specialists and that we are attempting to shed light on.

Keywords: Arabic Teaching, Digital Generation of learners, ICTs

1. مقدمة:

إن للأدب أهمية بالغة ودورا رئيسا في الإسهام في الارتقاء بالفكر الإنساني والانتقال به إلى آفاق رحبة، (إنه تعبير مبدع عن الذات بلغة مؤثرة ومناسبة، أو هو إعادة صياغة للحياة أو تأثيرها على النفس بأسلوب رائع)[1]، ويتمثل في الكلام البليغ الصادر عن عاطفة، المؤثر في النفوس، ومن هنا فإن الأدب يقوم على عنصرين أساسين هما:[2]

. التجارب الشعورية للإنسان من قلق وحزن وألم وفرح.

. استجابات الإنسان أو الأديب تجاه الواقع الذي يعيشه، والتجربة التعبيرية، والقصد منها نقل التجربة الشعورية الداخلية للإنسان إلى صورة لفظية معبرة عنها.

وتكمن الغاية من تدريس الأدب في ثلاثة جوانب:

1.1.الجانب التعليمي: إن التعليم يهدف بالدرجة الأولى إلى إحداث تغيير في المتعلم، سواء في الخُلق أو الطبع أو الفكر أو المعلومات أو غير ذلك من وجوه التغيير. ومن هذا المفهوم فإن الأدب يُحْدثُ في المتعلم تغييرا في الوجدان باعتباره يتغلغل إلى القلوب والعواطف. وتغييرا في الإدراك من خلال مدّ المتعلم بأشكال جديدة من الخبرات والمعارف، وإثراء ثقافته، وتوسيع أفقه[3].

2.1. الجانب اللغوي: و ذلك من خلال مساعدة المتعلم في:[4]

- القراءة: من خلال تدريب المتعلمين على سلامة النطق، وجودت التمثيل وتصوير المعاني، ومهارة الإلقاء.
- التذوق الأدبي: من خلال تمكين المتعلم من الاستمتاع بما يسمع أو يقرأ من الآداب الراقية.
- تدريب المتعلمين على حسن استنباط المعاني من الألفاظ بعد فهم النص فهما دقيقا.
- إثراء المعجم الغوي لدى المتعلم عن طريق مدارسة النصوص الأدبية الراقية.

3.1.الجانب الثقافي الإنساني: فالأدب عنصر من عناصر تكوين الثقافة الإنسانية لدى المتعلم، فيرمي إلى تحقيق ما يلي:[5]

- الكشف عن صفات الطبيعة البشرية، عن طريق ما ينتجه الأدباء والمفكرون.
- وقوف المتعلمين على مظاهر بيئتهم الحقيقية بشكل واضح، وذلك من خلال ما يكتبه الأدباء والكتاب من حقائق قد تكون مختفية للشخص العادي.
- إكساب المتعلمين خبرات إضافية اجتماعية، وخلقية، وتاريخية، وجغرافية، وسياسية، من خلال ما يدرسونه من نصوص أدبية تحتوي على كثير من هذه الجوانب، وبخاصة في أدب الرحلات.

2. في ماهية التذوق الأدبي.

جاء في القاموس المحيط تحت مادة (ذ، و، ق): ذاقه ذوقاً وذواقاً ومذاقاً ومذاقةً: اختبر طعمه، وأذقته أنا «وتذوقه: ذاقه مرة بعد مرة» [6].

ويكثر استعمال كلمة الذوق أو التذوق في مجال الحديث عن الأدب، وطريقة دراسته ونقده، والقصد من وراء ذلك الملكة والموهبة التي يستطاع بها تقدير الأدب الإنشائي، والمفاضلة بين شواهده ونصوصه.[7] وهذا ما ذهب إليه (ابن خلدون)، إذ يقول: «اعلم أن لفظة يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان، وهذه الملكة إنما تحصل بممارسة كلام العرب»[8]، ويُعرف أيضا بأنه «الملكة الموهبة التي يستطاع بها تقدير الأدب الإنشائي، والمفاضلة بين شواهده ونصوصه، أو تلك الحاسة التي يهتدي بها في تقويم العمل الأدبي وعرض عيوبه ومزاياه»[9].

فالذوق بمدلوله اللغوي حاسة تدرك بها الأطعمة والمشروبات، بحيث إذا أُطلقت كلمة (الذوق ومشتقاتها) انصرف الذهن من فوره إلى الطعام والشراب وتذوق الإنسان لهما عن طريق الفم واللسان، فالكلمة ذات أصل مادي، ثم اتسع معناها بحيث لم تعد تقتصر على الطعام والشراب فقط، بل أصبحت تُطلق على ما يدركه الإنسان من خلال حواسه الأخرى، ثم ما يدركه بعقله ووجدانه.

ووردت كلمة الذوق ومشتقاتها في القرآن الكريم تقريبا في ستين موضعا، لا نجدها قد استعملت في الطعام والشراب إلا في نطاق ضئيل لا يعدو ثلاث آيات هي:﴿فَدَلّاهُمَا بِغُرُورٍ فلما ذَاقَا الشَجَرَةَ﴾[10]، ﴿لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾[11]، ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمُ وَغَسَّاقُ﴾[12]، أما بقية المواضع فقد استعملت فيها الكلمة خارج ذلك النطاق مثل: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾[13]، ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَاب﴾[14]، والأمر نفسه في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام.

1.2.التعريف الاصطلاحي للتذوق:

يُعدُّ التذوق الأدبي قدرة فطرية لدى الإنسان، ولكن لابدَّ من تفتيحها ونموها بتوفير الأجواء الملائمة التي تساعد على صقلها من قِبَلِ المعلم في تنمية التذوق الأدبي في نفوس الناشئة بطريقة تمرّسهم بالنصوص الأدبية، والعمل على إكسابهم مهارات التذوق الأدبي.

وهناك تعريفات عديدة للتذوق، ومنها ما ورد في معجم المصطلحات العربية في الأدب واللغة، حيث يعرف بالقول: «إن الذوق هو قدرة الإنسان على التفاعل مع القيم الجمالية في الأشياء وخاصة الأعمال الفنية» [15]، أو هو «الموهبة التي يستطاع بها تقدير الأدب الإنشائي والمفاضلة بين شواهده ونصوصه، أو تلك الحاسة الفنية التي يهتدي بها في تقويم العمل الأدبي، وعرض عيوبه أو مزاياه»[16].

وعُرف أيضا بأنه «خبرة تأملية جمالية تبدو في إحساس القارئ أو السامع بما أحسه الشاعر أو الكاتب وهو في إيجاز سلوك لغوي يعبر به التلميذ عن إحساسه بالفكرة التي يرمي إليها النص الأدبي، وللحظة التي رسمها للتعبير عن هذه الفكرة أو تلك الموهبة الإنسانية التي أنضجتها رواسب الأجيال السابقة»[17].

التذوق الأدبي في عرف الأدباء والنقاد «تلك الملكة الموهوبة التي يستطاع بها تقدير الأدب الإنشائي والمفاضلة بين شواهده ونصوصه، أو تلك الحاسة الفنية التي يهتدي بها في تقويم العمل الأدبي وعرض مزاياه و عيوبه»[18].

فالذوق في أصله استعداد لابد للإنسان فيه، ولكن لابد لهذا الاستعداد من ثقافة أدبية تنميه، ويكون ذلك بممارسة الأدب شعره ونثره، وبمخالطة هذا الأدب المخالطة التي يتنبه فيها الناقد إلى خصائص الأدب، وما له من المزايا، فعن طريق الاستعداد والمخالطة للأدب يتربي التذوق الأدبي[19].

ويرى البعض أن التذوق الأدبي هو:«قدرة المتعلم على تناول النص الأدبي بالتذوق والتحليل، من خلال إدراك نواحي الجمال، ودقة المعاني، وفهم التراكيب، ودلالاتها، وتحديد قيمة الصور البيانية، والتفطن إلى العبارات المبتكرة، والتحليل الأسلوبي للنص، ونقد عناصر التجربة الشعرية، و إقداره على إصدار الأحكام على النص»[20]. أو هو «حاسة فنية يُهتدى بها في تقدير الشعر والمفاضلة بين نصوصه، ومن خلاله تُدرك نواحي الجمال في العمل، ويتأتى من خلال التمرس بالأساليب الأدبية والمران عليها وكثرة الاطلاع، وذلك لصقل الموهبة وإرهاف الحس الأدبي»[21].

ويوضح البعض أن التذوق الأدبي هو: «نوع من السلوك ينشأ عن فهم المعاني العميقة في النص الأدبي، والإحساس بجمال أسلوبه والقدرة على الحكم عليه بالجودة أو الرداءة»[22]. فهو خبرة تأملية تبدو في إحساس القارئ أو السامع بما أحسه الشاعر أو المبدع، وهو -في إيجاز- سلوك لغوي يعبر به التلميذ عن إحساسه بالفكرة التي يرمي إليها النص الأدبي[23].

أيضا يُعرف التذوق بأنه: «النشاط الإيجابي الذي يقوم به المتلقي استجابة لنص أدبي بعد تركيز انتباهه عليه وتفاعله معه عقليا ووجدانيا على نحو يستطيع به تقديره له والحكم عليه»[24].

إذن، فالذوق الأدبي بمفهومه المعروف الآن مأخوذ من المعنى اللغوي السابق، وأن كلا التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتفقان في التجربة، والاختيار والعلاج للأشياء، بينما الأداة المستخدمة في التعريف اللغوي هي اللسان، أما في الاصطلاحي فهي النفس، والعقل وما اختزنه من خبرات، أيضاً في التعريف اللغوي؛ فإن التذوق هو الطعام وما شابهه، ومعرفة حلاوته من غيرها؛ أما في الاصطلاحي فالألفاظ، والمعاني وما فيها من بلاغة واتساق، أو قبح وابتذال هي مجال التذوق. فهناك اختلاف في إدراك التذوق الأدبي، فهناك من يعرفه بأنه إحساس القارئ أو السامع بما أحسه الشاعر أو الكاتب أو القصاص، وهناك من يعرفه بأنه نوع من السلوك، ينشأ من فهم المعاني العميقة في النص الأدبي، والإحساس بجمال أسلوبه، والقدرة على الحكم عليه بالجودة أو الرداءة، وهناك من يعرفه بأنه انفعال يدفع الفرد إلى الإقبال على القراءة، أو الاستماع في شغف وتعاطف، وإلى تقمص الشخصيات التي في الأثر الأدبي. ومن جهة أخرى فالتذوق الأدبي هو الحصيلة النهائية من دراسة الأدب والبلاغة والنقد وإنه لا يأتي عرضا، وإنما يحتاج إلى ثقافة عامة ومعايشة لروائع الأدب وممارسة للنصوص، بالإضافة إلى الثقافة اللغوية حتى يتحقق للمتعلم ذوق أدبي رفيع، يمكنه من الاستمتاع بجمال الأدب وروعته،

«فهو يعتبر هدفا من الأهداف اللغوية، وله نصيب كبير من العناية في التوجهات العامة، وكذلك في التوجهات الخاصة بتدريس الأدب والبلاغة، أي أنه أساس في الدراسة الأدبية وروحها»[25].

وتتمثل العناصر المكونة لتشكيل التذوق الأدبي في:[26]

أولا: الملكة أو الموهبة الفطرية عند الدارس.

ثانيا: الحاسة الفنية التي يميز بها الجيد من الرديء من الكلام.

ثالثا: علوم البلاغة بجميع فروعها أو أنواعها، وهي: علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع.

رابعا: كتب الأدب المختلفة، وفي جميع العصور.

خامسا: الحفظ من القرآن الكريم، كونه يمثل قمة الفصاحة والبلاغة والذوق السليم.

سادسا: الحديث الشريف، وكلام الذين عُرف عنهم الذوق السليم من الصحابة.

سابعا: معرفة أشعار العرب وخطب ووصايا الفصحاء البلغاء منهم، في جميع العصور الأدبية.

ثامنا: الاطلاع على ثقافات وآداب الأمم الأخرى لصحة المعلومة.

تاسعا: الموازنات بين النصوص الأدبية، أو بين بعض العبارات والمفردات، لأن العمل الفني إذا عُرض مقترنا بغيره سهلت المفاضلة بينهما والحكم عليهما.

عاشرا: استخدام المستويات الأخرى في اللغة، كالمستوى الدلالي والمستوى الصوتي والمستوى التركيبي.

فالمعنى الواحد نستطيع أن نعبّر عنه بأساليب عدة، وطرائق مختلفة «وأنه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه، أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو العقلي، أو الكناية، وأنه لا يستطيع أن يدرك هذه الأساليب وهذه الطرائق إلا من يملك القدرة الكاملة، والاستعداد القوي، والملكة الفطرية السليمة على الإدراك»[27]، ولا يتأتى ذلك إلا بكثرة القراءة في كتب الأدب، وحفظ آثار العرب، ودراسة النثر الفني وتذوق أسراره.

2.2. كيفية تذوق العمل الأدبي:

لا يمكن للقارئ تذوق العمل الأدبي إلا إذا فهمه أولا، وذلك على العكس من تذوق الطعام والشراب، أو الاستمتاع بالعطر الفواح، أو الانبهار بمنظر طبيعي، أو عكس ذلك، إذ الشعور بتلك الأشياء والتلذذ بها أو النفور منها لا يحتاج إلى أن نفهمها أولا، بل يقع مباشرة ودون الحاجة إلى بذل أي جهد من جانبنا، وفهم العمل الأدبي يقتضي أولاً أن نفهم اللغة التي كُتِب بها، وأن نفهم ثانيا مضمونه، ويزداد فهمنا له ويعمق إذا أضفنا إلى ذلك معرفة كل ما نستطيع الوصول إليه من معلومات تتعلق بمبدعه وبالظروف التي أبدعه فيها.

إن التذوق في حقيقته خبرة تأملية فكرية انفعالية، تتم من خلال الاستمتاع بالجوانب المعرفية، والعاطفية، واللفظية للعمل الأدبي أو الفني، وأن الفهم مفتاح التذوق للنص الأدبي، فالمتلقي لا يصل إلى التذوق إلا إذا فهم وأدرك العلاقات والارتباطات بين مكونات العمل الأدبي، وإدراك أسرار الجمال أو

مواطن الضعف في العمل الأدبي، هنا فقط يصل إلى درجة التذوق، التي تعتبر إعادة بناء، أو إعادة خلق للعمل الأدبي[28].

والتذوق قد يكون هدفا قريبا يكتسب بسرعة، وقد يكون هدفا بعيدا يكتسب في مدى أبعد وزمن أطول، «فالأهداف السريعة العاجلة أن يتمكن التلاميذ من تذوق أي نوع من أنواع الأدب التمثيلية أو القصيدة مثلا، وذلك بإدراك الصور والمواقف والخبرات المتضمنة في النص، والإحساس بمواطن الجمال في التعبير من حيث الشكل والمضمون، والإحساس بالوحدة العضوية في الإنتاج الأدبي»[29]، أما الأهداف البعيدة فتعود لقراءة النصوص الأدبية ودراستها عددا من السنين «يولد عند التلميذ القدرة على تذوق الأدب تذوقا عميقا، يمكنه من أن يختار وبحكمة ودراية ما يريد قراءته وما يريد رؤيته من القصة التي قرأها، ويحس بالمتعة فيما يختار من الشعر أو النثر»[30].

ولا ريب أن القارئ إذا لم يكن عارفا باللغة التي كُتِب بها العمل الأدبي فلن يفهم منه شيئا، ومن ثم لن يكون بمقدوره أن يتذوقه، فمعرفة اللغة درجات متفاوتة، فمن القرّاء من يعرف اللغة التي ينتمي إليها العمل الأدبي معرفة عامةً دون أن يفهم نحوها وصرفها مثلاً، أو يعرف شيئا عن بلاغتها في التعبير، كما قد يكون محصوله اللغوي من الألفاظ والتعبيرات غير كافٍ، أو ربما لم يكن مهيأ للتعامل إلا مع لغة العصر الذي يعيش فيه، بحيث لا يستطيع أن يفهم أي عمل أدبي ينتسب إلى عصر من العصور الأدبية السابقة، ومع ذلك كله ومع أهميته الشديدة، لا يكفي، إذ لا بد للقارئ إذا كان يريد أن يكون تذوقه للعمل الذي يقرؤه أقوى وأعمق، أن يعرف أيضاً طبيعة الجنس الأدبي الذي ينضوي تحته ذلك العمل، لأن لكل جنس أدبي خريطته ومفاتيحه، وإذا لم يرد القارئ أن يضرب في أرجاء العمل الذي في يده على غير هدى فعليه أن يلم بقواعد الجنس الذي ينتمي إليه.

إن فهم النص الأدبي شعرياً كان أم نثرياً يتحدد في مستويين: المستوى السطحي الظاهر، والمستوى العميق الباطن، وهما مستويان يختلفان من حيث السهولة والصعوبة، والمستوى السطحي أكثر المستويين وضوحاً، وعلى الدارس أن يستخلص الدلالة من النص بعد معايشته والاستغراق فيه عن طريق سلوك محدد يتسم بالفضولية وحب الاستطلاع والبحث والشغف بالتساؤل، فالدارس عبارة عن مستكشف يتبع سلوك الاستكشاف الذي يرمي إلى تحقيق نوعين من المعرفة هما: المعرفة الذهنية، والمعرفة الحدسية، اللتان تجعلان من السلوك الاستكشافي اتجاهين متكاملين: أولهما تحليلي جزئي والآخر تركيبي، وكلاهما ضروري في عملية تذوق النص وفك ما فيه من غموض وتعقيد[31].

إن تذوق النصوص الأدبية مرتبط بتركيبها، يضاف إليه وعي دارس النص بالمهارات اللازمة لتحليل النصوص سطحاً وباطناً، فالنص ذاته قد يكون عاملاً من العوامل المهمة التي تعيق التلميذ عن اكتشاف النص، مما يقلل من التذوق، أو يضعفه أو يمحوه تماماً. فالنص من حيث ما فيه من كثافة تركيب ودلالة واكتظاظه التركيبي ودرجة تماسكه تصعب أحياناً من عملية الدراسة.

هذا بالإضافة إلى أن أسلوب النص الأدبي وتركيبه يعدان من أساسيات دراسة التذوق الأدبي، **فتكامل المقومات الفنية في النص الأدبي من أفكار عميقة وخيال مبتكر وألفاظ موحية وموسيقي تأسر المتلقي وتجذب انتباهه للنص الأدبي، وتؤدي إلى تذوقه بالإضافة إلى مستوي الشعر نفسه (معقد، متوسط، سهل)**، ولهذا فإن ثمة مبادئ ثلاثة يجب العمل وفقاً لها عند دراسة النص لفهمه وتذوقه، وهي:[32]

1.2.2 .العناية بالعلاقة بين المبدع والنص بوصفها مصدر الأسلوب المستمد من شخصية المبدع نفسه واختياراته.

2.2.2 .العناية بالعلاقة بين المبدع والنص بوصفها مصدر الانطباعات والاستجابات وردود الأفعال التي يبديها المتلقي.

3.2.2 .العناية بتحليل النص موضوعياً ووصف مبناه اللغوي.

إن علاقة التذوق بتركيب النصوص وفهمها ما تزال بعيدة عن متناول الدراسات التربوية في طرائق تدريس النص الأدبي، لأن مجال الذوق الفني وبخاصة تذوق الأدب شعراً ونثراً، ما يزال بكراً في محيطنا العربي فضلاً عن أن هناك حاجة أساسية لم تتحقق بعد للكشف عن الفروق بين الجنسين في تذوق الأدب؛ وذلك نظراً للندرة البالغة في مثل تلك الدراسات[33].

3. تنمية التذوق الأدبي للمتعلمين.

يعد التذوق الأدبي أحد أهداف تعليم اللغة العربية بصفة عامة، ومن الأهداف الرئيسة في تدريس الأدب والبلاغة، حيث يهدف تدريس الأدب إلى التمتع بما فيه من جمال الفكرة، وحسن العرض، وجمال الأسلوب، وموسيقى اللغة، والسمو بالذوق الجمالي الأدبي، وتأتي تنميته نتيجة مزاولة قراءة الأدب الجميل أو سماعه، إضافة إلى التأثر بما في الأدب من أفكار وأساليب تظهر في التعبير الشفهي أو الكتابي للقارئ أو المتحدث[34].

إن تنمية التذوق الأدبي، والإحساس بالجمال لدى المتعلمين أمران لا يُعَلَّمَان كالقواعد، وإنما يمكن البلوغ إليهما بالممارسة والمحاولة المتكررة، لتلمس مواطن الجمال، والجمال لا يدرك في النص إلا إذا عايشه القارئ أو السامع، وألفه وأزال حجاب الغربة بمعاودة القراءة والنظر، وقلب الفكر، وإدراك المعاني حتى يتصور صور الأديب، ويعيش خياله وعاطفته، وينتقل مع الشاعر المبدع إلى الجو الذي عاش فيه حين نطق بالشعر، وصاغه فنا، وهنا يعيش القارئ جو النص، ويراه بعينيه، ويسمعه بأذنيه، ويشعر به، ناسيا ما يحيط به مما يرى ويسمع ويشعر.[35]

فطريقة التدريس لتنمية التذوق الأدبي تقوم على أساس أن النقاش الشفوي ييسر عملية التذوق، وأن النقاش الشفوي في مجموعة صغيرة. أو مجموعات صغيرة. يوفر التغذية الراجعة للجميع، والمعلم في طريقة المناقشة هذه موجه ومرشد، كما أنه يوفر النشاط والدافعية للتلميذ. وهذه مبادئ

يجب أن يسترشد بها المعلم لأنه لا تذوق دون فهم، تأمل وتخيل، اقرأ وعبر، ناقش ثم أجب، تذوق بمفردك، ومن هنا يجب على المعلم أن يلم بجو العمل الأدبي، وبالمعلومات التي تمس العمل الأدبي، وأن يتعرف على أماكن التذوق في العمل الأدبي، والفكرة التي يدور حولها هذا العمل. المعلم عليه دور كبير في تنمية التذوق الأدبي، فيجب أن يكون عالمًا بأسرار التذوق وعناصره، وأن يحدد المهارات التي يريد أن ينميها لدى التلاميذ، وأن ينمي لديهم الميل إلى قراءة الشعر وتذوقه، عن طريق إعداد كراسة خاصة لكل تلميذ، يدون فيها النصوص الشعرية التي قرأها، ويعرضها على المعلم لمناقشة ما سطره بها.

وعلى الرغم من أن التذوق الأدبي هدف من أهداف تعليم النصوص الأدبية، وهو أمر هام يحتاج إلى دربة ومران إلا أن الدراسات السابقة تثبت الضعف في التذوق الأدبي، وهذا الضعف مشكلة عالمية وليست مشكلة محلية، فقد ثبت وتبين من بعض الدراسات السابقة أن سبب الضعف في التذوق الأدبي راجع إما إلى طرائق التدريس المستخدمة، وبالتالي ضرورة مراجعة طرائق التدريس التقليدية المستخدمة في تدريس النصوص الأدبية، واستخدام طرائق تدريس حديثة تنمى القدرة على الاطلاع والبحث لدى المتعلمين، وتدفعهم إلى الانفتاح على الخبرة والمعرفة.

وإما إلى أسباب أخرى تتعلق بالكتاب المدرسي، والإدارة المدرسية، والبيئة التعليمية التقليدية التي تشجع ثقافة الذاكرة على ثقافة الإبداع، والاهتمام بالتعليم التقليدي على حساب التعليم الإبداعي.

وقد يعود الضعف في التذوق الأدبي إلى طريقة تنظيم المحتوى وعدم مناسبته لميول المتعلمين، حيث يعود عدم تذوق كثير من الطلاب للشعر ربما إلى أننا لم نجر من التجارب ما يمكننا من الحكم الصحيح على ميل متعلمي المرحلة الثانوية إلى الشعر، وقد درج الخبراء في هذه المرحلة على اختيار ما يرونه صالحا للطلاب، وهم يبنون اختيارهم على ذوقهم الخاص، وعلى ميولهم، وقد يكون السبب في عدم التذوق هو عدم وجود معيار يمكن الحكم به على قدرة المتعلمين على تذوق نواحي الجمال المختلفة في الشعر.[36]

واتضح من دراسات أخرى أن سبب عدم التذوق الأدبي راجع إلى المعلم فعجز المعلمين في استخدام الأساليب الأدبية الجميلة في تعبيراتهم، بالإضافة إلى عجزهم في اختيار الكلمات المناسبة للمعاني التي يقصدونها، وعجزهم في استخدام ألفاظ محددة المعاني، إضافة إلى عجزهم في التعبير عن الأفكار بطلاقة.

وتؤكد تقارير مشرفي اللغة العربية حقيقة ضعف معلم اللغة العربية، بحيث لا يقوى على النهوض بتبعات رسالته كما يرجى، بل إن عددا غير قليل من المعلمين حديثي التخرج تعوزهم القدرة على الحديث بلغة عربية سليمة، وقد يلحنون فيما يكتبون، أو يتعثرون في أداء النصوص وتلاوة القرآن، وكثيرا ما تند منهم أخطاء معيبة في النحو والصرف والأدب والبلاغة والنقد، ونعثر في كتابة كثير منهم على أخطاء إملائية فاحشة، يفترض أنهم تجاوزوها في صدر حياتهم التعليمية.[37]

إن المعلم الكفء يستطيع أن يقود تلاميذه نحو التذوق والإحساس بجمال التعبير في نواح ثلاث على الأقل:[38]

1.3. مساعدتهم في تقويم الصعوبات في القراءة، والتغلب عليها وإكسابهم تلك المهارة.

2.3 .إمدادهم بالحقائق الضرورية المتعلقة بالنص الأدبي، ومساعدتهم في فهم تلك الحقائق وتطبيقها والتأثر بما فيها.

3.3 . خلق جو انفعالي عاطفي ملائم لتدريس الأدب.

وتتمثل بعض مهارات التذوق الأدبي في الشعر في:[39]

. القدرة على فهم مكونات الصورة الشعرية وقدرتها على التعبير عن أحاسيس الشاعر، ومدى نجاحها في رسم الشخصيات.

. القدرة على إدراك مدى أهمية الكلمة وتحديد مدى المفارقة بين الصور الشعرية وما بين الفِكَرِ من تناقض.

. القدرة على إدراك التناسب بين الكلمة والجو النفسي الذي يثيره النص.

. القدرة على إدراك جمال التشبيه والصور في النص.

. القدرة على اختيار أقرب الأبيات تعبيرًا عن إحساس الشاعر وأقربها إلى الواقعية.

. حساسية المتعلم لوزن الأبيات وإدراك ما فيها من نشاز موسيقي.

. تمثُّل الجو النفسي في النص وتبيان مدى قدرة الأبيات على استثارته.

. القدرة على اختيار أقرب الأبيات معنى إلى بيت معين.

. القدرة على استخراج البيت الذي يتضمن الفكرة الأساسية في النص.

من خلال ما سبق يتضح أن تنمية التذوق الأدبي تحتاج إلى أهداف واضحة محددة، ومحتوى يتم من خلاله تحقيق هذه الأهداف، مصوغ بطريقة تنمي الذوق الأدبي، ولا تنفر منه، مناسب لميول المتعلمين، وطريقة تدريس تتناسب مع هذا المحتوى، وتقويم مستمر.

4.دور المعلم في تنمية التذوق الأدبي:

إن أداء المعلم ينعكس على تلاميذه، وهذا ما دعا بعض علماء التربية إلى تأكيد الحقيقة التي تقول بأن كفاءة المعلم في تدريسه تقاس وتحدد بالآثار التي يتركها في تلاميذه.

«وقد أصبح من الضروري أن نتحدث عن الإعداد الجيد للمعلم بشكل عام ولمعلم اللغة العربية بشكل خاص، فالمعلم اليوم اختلف دوره عن معلم الأمس، حيث لم يعد دوره مقتصرا على تلقين الطالب المعلومات التي يقررها المنهاج التدريسي، ثم تقويم ذلك العمل باستخدام الاختبارات المختلفة، فالبحوث الكثيرة والمتزايدة يوما بعد يوم، أوجدت نظرة مختلفة لدور المعلم، وهذا بالتالي يعني أن الكفايات والقدرات المطلوبة من المعلم لابد وأن تختلف»[40].

ويظهر دور المعلم جليا واضحا في تنمية التذوق الأدبي لدى المتعلمين من خلال إيمانه بأن كل متعلم لديه القدرة على التذوق الأدبي، وأنه يمكن التدريب عليه منذ المرحلة الابتدائية، من خلال الإكثار من عقد الموازنات بين النصوص الأدبية، أو بين العبارات أو المفردات، لأن تقدير أي نظام من الجمال أمر مستحيل حدوثه ما لم يتم تمرين القارئ على عقد موازنات بين ألوان منه في درجات منوعة من الجودة، وتقويم مداها في كل لون[41]، هذا بالإضافة إلى ضرورة توافر الحاسة الأدبية عند المعلم أثناء قراءته للنص الأدبي قراءة جهرية، فالمتعلم يتأثر بأداء المعلم، كما أن الأداء الجيد عنصر مهم في تذوق النص الأدبي.

ولكي ينمي المعلم التذوق الأدبي لدى المتعلمين ينبغي أن يكون عالما بأسرار التذوق الأدبي وعناصره، وأن يتوافر لديه قدر لا بأس به من أسرار اللغة العربية وخصائصها، وقدرتها التعبيرية، وقيمة حروفها وألفاظها وأنماط تعبيراتها، ونسق عباراتها، بحيث يشعر المتعلم بالجمال الفني في العمل الأدبي، بالإضافة إلى ضرورة معرفته بأن الفكرة لا تعلم في إطار العمل الأدبي إلا من خلال وحدة عضوية يدركها المتعلم، ويتم فهمها وتذوقها ذاتيا بسبب روعة الجو النفسي الذي لون الفكرة، وأدخلها في عالم الفن الأدبي.[42]

وينبغي على المعلم لتنمية التذوق أن يكون عالما بعلم النحو، وألا يقف أمام ألفاظ هذا العلم، بحيث يعرف فقط أن هذا فاعل وذاك مفعول، وإنما ينبغي أن يتخطى هذه المرحلة إلى مرحلة أعلى، وهي البحث عما وراء هذه التراكيب النحوية، والأسرار الدافعة لتفضيل هذا التركيب النحوي على ذاك، ولا يقف دور المعلم في تنمية التذوق الأدبي عند حد العلم بالنحو، وإنما ينبغي أن يشمل النحو علم المعاني، وأن يعدو الصحة اللغوية إلى الجودة الفنية، وفي النهاية يحكم الذوق فيما تحيط به المعرفة، ولا تؤديه الصفة من إحساس بجمال لفظ في موضع خاص، أو مظنة إلى قوة رابطة، أو أداة في جملة، أو بيت شعر دون غيرهما.[43]

كما ينبغي للمعلم أن تتوافر لديه القدرة على التعليل النقدي، لأن التذوق الأدبي يحتاج حاجة ماسة إلى عملية التعليل النقدي المستند إلى أسس معرفية وفكرية قادرة على إصدار حكم نقدي وقادرة على تبيين أهم الأسس الجمالية والفنية والفكرية العامة في النص الأدبي، وكل هذا لا يمكن التوصل إليه إلا من خلال الاعتماد على عملية التحليل وسبر الأغوار العميقة في النص. ويعد التحليل مهارة ضرورية للمعلم، لأنه وسيلة مهمة في إفهام المتعلمين المغزى الكامن، والإدراك الواعي لما يقرؤونه، كما أنه يساعد على التفكير في مواقف الحياة، وتغيير مغزى العلوم والآداب من معارف وإبداعات تكشف وتتراكم، إلى أن تكون أدوات عمل للتفكير، وتنمية القدرات المقارنة والنقد، وتكريسا لما يتطلبه خطاب العصر من مقومات التناول الفكري[44].

ويمكن للمعلمين أن يتعهدوا في تلاميذهم التذوق الأدبي بوسائل ناجحة منها[45]:

. أن يؤمنوا بأن كل تلميذ مزود بنصيب من ملكة التذوق، وعلى المدرس تعهدها وتنميتها في أي مرحلة من مراحل التعليم.

. ألا يقف المعلمون عند معالجة النصوص عند الشرح اللفظي والمعنوي، بل عليهم أن يكشفوا للمتعلمين عن نواحي الجمال في التعبير، وتأثيره في النفس.

. ألا يستأثر المعلمون بالعمل، بل عليهم أن يشجعوا التلاميذ على المشاركة، وأن يوفروا لهم حظا كبيرا من حرية الرأي.

. أن تكون الأحكام الفنية التي ينتهي إليها المعلم مع تلاميذه أحكاما دقيقة، يتجلى صدقها وانطباقها على عناصر التعبير، فكرة وأسلوبا.

. أن يكثر المعلمون من عقد الموازنات بين النصوص الأدبية، أو بين بعض العبارات أو المفردات، فالعمل الفني إذا عرض مقترنا بغيره سهلت المفاضلة بينهما، والحكم على كل منهما.

. اعتماد الاستقراء في تحليل النصوص الأدبية والكشف عن أسرار الجمال فيها.

. تدريب التلاميذ على الإحساس بالوزن والإيقاع من المرحلة الابتدائية.

5 .خاتمة:

جماع القول في التدريب على تذوق النص الأدبي فتسبقه خطوات عملية لابد منها، وهي ممارسة الكلام الجيد وفهمه، ويتضمن ذلك معرفة مفردات اللغة ومعانيها وتفسيرها، كما يتضمن معرفة بالأسلوب الجيد والمفاضلة بين أساليب الكُتّاب والأدباء، لذلك لابد من تدريب التلميذ لغويا قبل الوصول إلى مرحلة التذوق، وذلك عن طريق تعويده على القراءة الجيدة، وقراءة النص الأدبي أكثر من مرة، واستيعاب معناه العام في البداية، ثم إدراك جوانب الجمال اللغوي والبلاغي لكل جزء من أجزائه، ثم بعد ذلك يدرك التلميذ مرامي وأبعاد النص الأدبي من حيث ما يهدف إليه الكاتب أو الأديب أو الشاعر، وباتصال التلميذ بأكثر من أديب أو شاعر يمكنه تناول نص كل واحد بالتحليل والنقد بموضوعية مجردة، والمفاضلة بين النصوص، بذكر ما لها وما عليها، ما فيها من عيوب وما فيها من محاسن وعناصر قوة، دون اللجوء إلى الأحكام المسبقة العشوائية، ولتجنب العشوائية في الأحكام نرى ضرورة إيراد نماذج نقدية لبعض كبار النقاد يتناولون فيها نصوصا أدبية بالتحليل والنقد، ومن ثم التطبيق في ضوء هذه النماذج.

فالتذوق الأدبي مفتاح فهم النص، والتدريب على هذا التذوق من وظائف المعلم الأساسية التي تكون ضمن مهامه داخل حجرة الدراسة وخارجها، فهناك ألوان مختلفة وطرائق شتى لتدريس الأدب، وكل طريقة من طرائق التدريس تهدف أساسا إلى تنمية قدرات التلاميذ ومواهبهم الأدبية والفنية وميولهم، بغية الوصول إلى جمال الفكرة والعرض والأسلوب باستمرار، وليس الاقتصار على فهم نص دون آخر، فالغاية هي القدرة على التحليل والنقد والتركيب، والتي تؤدي إلى الفهم الشامل عن طريق التذوق[46]، ولا

يمكن تحقيق ما سبق دون توفر معلم قادر على تنفيذ المحتوى بشكل يحقق الأهداف، ممتلك للمعلومات والمهارات الكافية لذلك.

6. الهوامش:

[1]. سحر سليمان الخليل، مدخل إلى تذوق النص الأدبي، دار البداية ناشرون وموزعون، ط1، عمان 2009، ص08.

[2]. ينظر: مصطفى خليل الكسواني، المدخل إلى تحليل النص الأدبي وعلم العروض، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2010، ص16.

[3]. ينظر:عبد الفتاح حسن البجة، أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها، دار الكتاب الجامعي، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص333، 334.

[4]. ينظر: المرجع نفسه، ص336،335.

[5]. ينظر: المرجع السابق، ص337،336.

[6]. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، بيروت لبنان 1995، ص797.

[7]. ينظر: مصطفى خليل الكسواني، المدخل إلى تحليل النص الأدبي وعلم العروض، ص28.

[8]. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1ص363.

[9]. إبراهيم عبد العليم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص271.

[10]. الأعراف، الآية 22.

[11]. النبأ، الآية 24.

[12]. ص،الآية 57.

[13]. الطلاق، الآية 9.

[14]النساء، الآية 56.

[15]. وهبة مجدي ومهندس كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت 1984، ص173.

[16]. إبراهيم عبد العليم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص231.

[17]. حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، ص386.

[18]. جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دار الفكر المعاصر، ط10، بيروت لبنان 2005، ص183.

[19]. ينظر: ثريا محجوب محمود، تنمية التذوق الأدبي لدى تلاميذ الصف الثالث الإعدادي وأثر ذلك على قدرتهم على التعبير الكتابي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة حلوان،1991، ص20.

[20]. أحمد عبده عوض، تصور مقترح لمنهج نحوي بلاغي وأثره على تنمية مهارات الإنتاج اللغوي والتذوق الأدبي لدى طلاب المرحلة الثانوية. رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة طنطا 1992، ص19.

[21]. المرجع نفسه، ص142.

[22]. حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، ص195.

[23]. ينظر: حسن شحاتة، أساسيات التدريس الفعال في العالم العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط4، القاهرة 2004، ص146.

[24]. رشدى أحمد طعيمة، وضع مقياس للتذوّق الأدبى عند طلاب المرحلة الثانوية، فن الشعر، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عيس شمس 1971، ص53.

[25]. مصطفى خليل الكسواني وآخرون، في تذوق النص الأدبي، ص29.

[26]. ينظر: المرجع نفسه، ص30،29.

[27]. المرجع السابق، ص30.

[28]. ينظر: علي مدكور، تدريس فنون اللغة العربية، ص186.

[29]. محمد صلاح الدين مجاور، تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية، التربوية، ص417.

[30]. المرجع السابق، ص418.

[31]. ينظر: محمد عبد الرحيم عدس، تعليم القراءة بين المدرسة والبيت، دار الفكر، (دط)، الأردن1998، ص290.

[32]. ينظر: مصري حتورة، سيكولوجية التذوق الفني، المكتب العربي الحديث،(دط)، القاهرة 1985، ص15.

[33]. ينظر: المرجع نفسه، ص196.

[34]. ينظر: فيصل العلي، المرشد الفني لتدريس اللغة العربية، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمان 1998، ص23.

[35]. ينظر: عمر العكشي، الارتقاء بتدريس الأدب والنصوص في المرحلة الثانوية من خلال المنحى التكاملي، المنتدى الأدبي التربوي الخامس، الإمارات العربية المتحدة 1998، ص10.

[36]. ينظر: علي مدكور، تدريس فنون اللغة العربية، ص212.214.

[37]. ينظر: محمد أحمد، فلسفة إعداد معلم اللغة العربية، مكتبة النهضة المصرية، (دط)، القاهرة 2000، ص5.

[38]. ينظر: محمد صلاح الدين مجاور، تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية، ص 425.

[39]. ينظر: رشدي أحمد طعيمة، وضع مقياس للتذوق الأدبي عند طلاب المرحلة الثانوية (فن الشعر)، ص53.

[40]. صالح نصيرات، طرق تدريس العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص57.

[41]. ينظر: محمود خاطر وآخرون، طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة، دار المعرفة،(دط)، القاهرة 1981، ص195.

[42]. ينظر: حسن شحاتة وآخرون، تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، دار أسامة للطبع، ط6، القاهرة 1988، ص200،199.

[43]. ينظر: محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (دط)، القاهرة 1984، ص338.

[44]. ينظر: عبد المنعم نافع، أساليب التحليل الأدبي، مجلة النادي الأدبي، العدد2، المملكة العربية السعودية 1998، ص3.

[45]. ينظر: عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص274.

[46]. ينظر: عصام علي مقداد، مستوى مهارات التذوق الأدبي لدى معلمي اللغة العربية بالمرحلة الأساسية العليا وعلاقته بمستوى الثقافة الإسلامية لديهم، مذكرة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة فلسطين 2008، ص33.